بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى أخ في الله

من الشيخ؛ حسن قائد
أبي يحيى الليبي

الحمد لله حمداً كاملاً دائماً لائقاً بجلاله، والصلاة والسلام على محمد وآله، وعلى صحبه ومن اقتدى بفعاله.

وبعد...

فمن أبي يحي – حسن قائد – إلى أخيه؛ بقية الصِحاب، ورفيق دربه في اليُسر والصعاب؛ همام، زاد الله همته في طاعته، وأزال كربه وهمه وغربته، وأجزل له عطاءه وضاعف مثوبته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تتزاحم الكلمات بين أضلعي، وتختلف العبارات علي، وتتسابق المعاني لنيل شرف السبق في إبدائها، فذكريات صارت لبعدها في أعماق الذاكرة، تحرك عواطفي وتزلزل جوانحي، وهموم تنكت فؤادي وتكلم قلبي تقض مضجعي، غربة، وضعف، وتخطف، وخوف، وفقدان لأحبة، وذهاب الأنيس، وتخلي الصديق، وغياب الرفيق، وطول في الطريق، وجهد مرهق...

حِمْل؛ لو جعل على جبل لانهد، أو ما زج النهار المشرق؛ صيره ليلا دامساً.

صبت عليَّ مصائب لو أنها   صبت على الأيام صرن لياليا

ولكن وسط هذه الظلمة الحالكة، والفتنة العارمة، والعاصفة الصرصر، نرى بقلوبنا – وهي في ضعفها – بصيصاً مشعاً يلوِّح لنا من بعيد، وراية علية ترفرف فتشدنا إليها، وتجذبنا نحوها، وقد رُقم على أحد أوجهها: {والعاقبة للمتقين}، ويتمايل بها النسيم فنرى على صفحتها الأخرى: {ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون}، فيهدأ برؤيتها روعنا، وتستقر نفوسنا، وتنشرح صدورنا، وتثبت أقدامنا، ويزداد نشاطنا، وتنبعث آمالنا، وتخف آلامنا، ويتلاشى يأسنا.

أخي الحبيب، ورفيقي اللبيب...

مقدمة لا بد منها، وإن كانت جافة يابسة خالية من العواطف، مليئة بالعواصف، بعيدة عن نسيج الرقة، ورقة النسيج، فلعنا اليوم نتزود بهذا وقد قل الزاد، ونتصبر به وقد نفد الصبر أو كاد، ونتواصى به وأين أين المواصي والمواسي، القلوب متطلعة، والأعناق ممتدة، والأعين مترقبة، والنفوس متململة، والأجسام كليلة، والكل ينادي بلهف ويسأل بشغف: {متى نصر الله}؟ فيأتينا جواب من كتاب ينطق بالصدق، ومنبع يفيض بالحق، ونوريبث اليقين، ويبدد ظلمة الوهن المهين: {ألا إن نصر الله قريب}، فوربي إنه لقريب، لا مرية فيه ولا ريب: {فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون}.

أوَليس هو وعد من لا يخلف الوعد؟! وعهد من لا ينقض العهد، {ومن أصدق من الله قيلاً}، {ومن أوفى بعهده من الله}، {وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.

أخي الكريم...

أسأل عن أخباركم وأحوالكم وصحتكم وأوضاعكم ومعنوياتكم؟ لا سيما وقد اجتمعت عليكم صنوف الغربة، ونسجت حولكم خيوط الوحدة، أعانكم الله وربط على قلوبكم.

فعلم الله – أخي الكريم – كم كانت فرحتي إذ وجدتك – بعد فقد وغياب الكثير – ما زلت معافى في نفسك ودينك، ثابتاً على الحق مستمسكاً به، وازددت فرحاً على فرح؛ بعد علمي بنجاتك بعد أسرك، وعافيتك بعد بلائك، فقد ذقتُ ما ذقتَ، ورأيتُ ما رأيتَ، وعلمتُ علم اليقين أية نعمة كساك الله ثوبها، وأي فضل غمرك الله به.

فاستمسك بالعروة الوثقى، واثبت على الطريق – وإن قل أو انعدم الرفيق والصديق – فالحق أحق أن يتبع، والصدق أولى بأن يُستمع، ولا تستوحش من قلة السالكين، وكثرة المتهالكين وردد مع الشهيد الرشيد شعره السديد سيد قطب – السيد القطب –

أخي سر ولا تلتفت للوراء   طريقك قد خضبته الدماء
ولا تلتفت ههنا أو هناك   ولا تتطلع لغير السماء

فمخذول... مخذول من يضيع نعمة الله بعد أن يوصلها إليه ربه، ويكرمه بها وليه.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الشاكرين لمننه، المتحدثين بنعمه، الذاكرين لفضله، ونعوذ به من سلبها بعد وهْبها، وما ذلك إلا بما تكسب الأيدي وتقترف الجوارح: {ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم}، فاعضض عليها بالنواجذ بدوام الشكر وكثرة الذكر، فإن الشكر قيد النعم، والكفر – كفر النعمة – سبيل النقم: {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتكم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}، {واضرب لهم مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون}

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
وحُطْها بطاعة رب العباد ... فربُّ العباد سريع النِّقم

وأكثر من سؤال الله العافية، فإنها كلمة ضمت خيري الدنيا والآخرة.

فعن العباس – عم النبي صلى الله عليه وسلم – قال: قلت: (يا رسول الله، علمني شيئا أسأله الله تعالى)، قال: (سلوا الله العافية)، فمكثت أياما، ثم جئت فقلت: (يا رسول الله، علمني شيئا أسأله الله تعالى)، قال لي: (يا عباس، يا عم رسول الله، سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة).

وأكثر من الدعاء، ولا تقنط من رحمة الله، قال الله تعالى: {ولا تقنطوا من روح الله}.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.